

(إِلَـلَـيَّ مَرْجِعُكُمْ° فَأُنْزِلُ نَزْءُكُمْ° بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ستقف أيها الإنسان أمام
 □، وكذلك سيفقد والداك وستُجزى بعملك، ولن يدافع عنك أبواك ولن تدافع عنهما (لا يَجْزِي وَالِدٌ
 عَنُ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنُ وَالِدِهِ شَيْئًا) (لقمان/ 33)، وعند الوقوف بين
 يدي □، فإنَّه سبحانه يقدم للناس كلَّ ما فعلوه من سرٍّ أو جهر، لأنَّه مطلعٌ على كلِّ ما يعملون
 (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ° فِي الصَّالِحِينَ) (العنكبوت/ 9)، إذا أطعتم □ وعملتُم صالحاً فسيدخلكم □ في مجتمع الصالحين، ونحن نعرف أنَّ مجتمع الصالحين هو
 مجتمع أهل الجنة، فأية جائزة تنالها في نهاية المطاف على كلِّ أتعابك وصبرك وإيمانك، أعظم من
 جائزة الدخول إلى الجنة، التي عرضها عرض السماوات والأرض أعدت للمتقين؟

ويحدِّثنا □ تعالى عن بعض الناس الذين يدخلون مجتمع المؤمنين، ولكنَّهم من الذين لم يثبت
 الإيمان في قلوبهم، فيقول سبحانه: (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ
 رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ° أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ
 الْعَالَمِينَ) (العنكبوت/ 10)، وهذا النوع من الناس بمجرد أن يؤذى في جنب □ بسبب إيمانه، أو
 يُضغط عليه ويُحاصر، يجعل فتنة الناس كعذاب □، ويحاول أن يعطِّم البلاء الذي وقع فيه بسبب محاصرة
 الناس، كما لو أنَّ عذاب □ وقع عليه، وكما أنَّه يهرب من عذاب □، فإنَّه يهرب من عذاب الناس،
 فيقدِّم التنازلات ويعصي □.. وذلك كثير من الذين ينطلقون في خطِّ الإيمان، فإذا ما ابتُلوا بسبب
 انتمائهم للإيمان، وحدثت بعض الخسارات في أوضاعهم، فإنَّهم يتركون الإيمان جانباً ليحافظوا على هذه
 الأوضاع. وهؤلاء ينحازون ويلجأون إلى المؤمنين من جديد في اللحظة التي يكتب فيها □ تعالى النصر
 للمؤمنين على كلِّ الذين حاصروهم وسبَّبوهم لهم المتاعب (وَلَئِنَّ جَاءَ نَصْرٌ مِّنَ رَبِّكَ) أتى
 وقت الانتصارت، وعندها (لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ°) في وقت الشدة والمواجهة يتنكِّرون
 للمؤمنين، أمَّا في وقت النصر فيعلنون انتماءهم إلى خطِّ الإيمان.. ولكن على مَن يصحكون؟
 (أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ) □ تعالى يعرف المنافق تماماً،
 ويعرف مَن يحمل ازدواجية في شخصيته ومواقفه، ومَن يعيش في قلبه خالص الإيمان، ومَن هو مُكدِّر
 الإيمان.. وإذا انطلت حيلُ هذا المنافق على الناس، واستترت عنهم خفاياه وأسراره، فإنَّها لن
 تنطلي على □ تعالى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
 الْمُنَافِقِينَ) (العنكبوت/ 11)، فهو تعالى يميِّز ويعرف حقائق الأشخاص، ولذلك يعلمُ المنافق حتى
 ولو ظهر بأوضح صور الإيمان، ويعلم □ المؤمن حتى لو لم يظهر من أمر إيمانه شيءٌ للناس. ويقف
 الكافرون للمؤمنين بالمرصاد ليزلزلوا إيمانهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا
 اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ° وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ° مِنْ خَطَايَاهُمْ° مِّنْ شَيْءٍ° إِنَّا ذُرِّيُّونَ°)
 (العنكبوت/ 12)، امشوا في طريقنا، ونحن نحمل على ظهورنا كلَّ
 خطاياكم وذنوبكم وسيئاً تكم، أنتم خائفون من يوم القيامة، نحن يوم القيامة.. هذه كلمات سيتحملون
 مسؤولياتها، هم أضعف من أن يحملوا خطاياهم، وأضعف من أن يهربوا من عذاب □ (إِنَّهُمْ°
 لَكَاذِبُونَ) يحاولون إغراءكم وإيقاعكم في الخطيئة، فإذا وقعتُم في الخطيئة ووقفتُم أمام حساب
 المسؤولية هربوا من كلِّ ما تعهدوا به، فهم لا يقدرُونَ أن يضمنوا أنفسهم، فكيف يمكن أن يضمنوكم؟
 ولأنَّهم يسبِّرون في طريق الضلال (وَلَيَحْمِلُنَّ° أَثْقَالَهُمْ° وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ°
 وَلَيُسْأَلُنَّ° يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ°) (العنكبوت/ 13)، فعلى أيِّ أساس
 تحمَّلتُم المسؤولية، ومَن أنتم حتى تضمنوا على □؟ ففضية العقاب والثواب بيد □ تعالى وحده. وما
 هي قيمتكم وموقعكم عنده سبحانه، وكيف لكم أن تكفلوا الناس أمام □؟ وهذه المسألة يجب أن نعيها
 جيِّداً في حياتنا، وذلك عندما نريد أن ننطلق في أيِّ موقع، فيأتينا إنسانٌ لا يملك أيِّ أساسٍ
 للثقة، وأيِّ موقعٍ للاطمئنان ليدعونا للسير معه مدعيًا تحمُّله لكافة المسؤوليات، علينا أن نرفض
 ذلك، لأنَّنا مسؤولون عن أنفسنا أمام □ يوم القيامة فيما أخذنا به.. إنَّنا لا نستطيع الدفاع عن
 أنفسنا يوم القيامة إلَّا إذا كنَّا نملك الحجة أمام □، ولذلك، لنوفِّر على أنفسنا ذلَّ يوم القيامة
 عندما لا نستطيع جواباً عند السؤال.